القصد الإلهي[١]

سوزان دي ديتريخ

تعريب

غبطة البطريرك إغناطيوس الرابع

الكتاب المقدس ليس كتابًا في الفلسفة أو التاريخ، بل هو كلام الله أو كتاب أعمال الله. هو في الوقت ذاته كتاب بشري وإلهي، كتبه أناس عاشوا في فترة معلومة من الزمن، وكانت لهم ظروف خاصة بهم. فالكتاب إذن مرتبط بقطعة من التاريخ البشري.

غير أنه من خلال هذا التاريخ يسير تاريخ آخر هو ذاك الذي يكتبه الله في قلوب البشر، ذاك الذي يصنعه الله من أجلنا، وخلالنا، ورغمًا عنا. هذا التاريخ هو تاريخ خلاص.

فلكي يفدي الله خليقته نزل إليها وكلَّمها بلغتها. فالله يُقدِّم نفسه للناس في الكتاب المقدس، كما يُقدِّم نفسه في ابنه الوحيد. والبشر هم أحرار في قبولهم له أو رفضه.

إنه كتاب يَبْسِطُ أمامنا مأساة، يقف فيها الإنسان وجهًا لوجه أمام الله: الله يدعو الإنسان، والإنسان يقاوم دعوة الله... وفي وسط هذا التاريخ ينتصب صليب. فالصليب هو المكان الذي تبلغ فيه المعركة بين الله والإنسان ذروتها، هو المكان الذي ينتصر الحب الإلهي انتصارًا كليًّا على الشر وعلى الموت.

يقع تاريخ الخلاص في الكتاب المقدس بين رؤيتين: الأولى هي الفردوس المفقود في سفر التكوين، والثانية هي مدينة الله في سفر الرؤيا. هاتان الرؤيتان هما المنارتان اللتان تضيئان كل تاريخ البشرية التي بينهما. ويمكن تقسيمها إلى ثلاث حِقب جوهرية:

١- حِقبة التوراة، واختيار الله لنفسه شعبًا يشهد له ويحمل المواعيد ويُجهز لمجيء المسيح.

٢- حِقبة التجسُّد، مجيء المسيح، ذبيحة الصليب، وولادة شعب جديد هو الكنيسة.

٣-انتهاء الزمان، ومجيء المسيح للدينونة، ويقدِّم كل شيء لأبيه. نحن الآن في فترة الصبر الإلهي، فترة الكنيسة، الزمن الذي أُعطي لنا لكي نُبشِّر بخلاص الله إلى اقاصي الأرض.

---

(١) الكتاب يقع في ٢١٤ صفحة، تعاونية النور الأرثوذكسية بيروت، طبعة ثالثة ٢٠١٣